حتى لانظلم الموتى .. ! !

بقلم : احمد طلعت

المذكرات التى كتبها خالد محيى الدين ، وتنشرها الاهرام تباعا ، هى - بدون مجاملة - افضل ماكتب عن ثورة ٢٣ يوليو حتى الان .. بل ويمكن القول - بدون تحفظ - انها اصدق ماكتب حتى الان .

فخالد محيى الدين - اولا - لم ينقل قصة واحدة (سماعيا) عن زيد من الناس ، وانما هو قد تحدث عن احداث عاشها بنفسه ، وبعضها (صنعها) وحده او مع الاخرين ، وهو - ثانيا - لم يلق التبعة - كعادة الكتاب - على فريق دون فريق ، ففى تحليله لدوافع الصراع بين عبد الناصر والشيوعيين ، او الاخوان المسلمين ، لم يلق التبعة باكملها على طرف واحد ، وانما حاول ان يبين دوافع كل طرف ، واخطاء كل فريق بجدية وموضوعية ، لابد انه جاهد نفسه من اجلها جهادا كبيرا ..

وخالد محيى الدين - ثالثا - لم يصور اخطاء البعض ، على انها (خطايا) لاتغتفر ، لكنه - فقط - وضعها فى موضعها الصحيح فى اطار الطبيعة البشرية ،

ثم صحح خالد محيى الدين بعض الاخطاء الشائعة عن احداث جرت فى الفترة السابقة على الثورة ، وظل الناس حتى الان يحكمون حكما خاطئا على ابطالها ، من ذلك مثلا تنظيم (الحرس الحديدى) الذى تزعمه الضابط مصطفى كمال صدقى ، وصورته الثورة على انه كان أداة من ادوات الملك السابق فاروق لضرب خصومه وتصفيتهم ، مع انه فى حقيقته كان محاولة لايجاد تنظيم وطنى داخل الجيش ، يدين بالولاء للملك بغير شك ، لكنه فى نفس الوقت يجنب الجيش محاولات الاختراق من جانب بعض التيارات السياسية ويقف فى وجه (تسييس) القوات المسلحة .

والحقيقة التى لم يذكرها خالد محيى الدين فى هذا السياق - ربما تعففا - هى ان مصطفى كمال صدقى ، قائد هذا التنظيم ، كان ينافس الملك فاروق نفسه على قلب احدى وصيفات القصر .. وهى المنافسة التى خرج منها الملك فاروق مهزوما .. ! !

شىء واحد فى الحلقات التى قرأناها من مذكرات خالد محيى الدين حتى الان ، يحتاج الى تصحيح او توضيح ، يدفعنا اليه ايماننا بحسن نية الصديق خالد محيى الدين وحرصه على أن لايزعم لنفسه احتكار الحقيقة ، فهو نفسه الذى قال فى اول حلقة من مذكراته :

« فقط اقرر اننى حاولت جهدى ان اقترب من الحقيقة ، فان وقع خلاف بين محاولتى وبين ماذكره الاخرون ، فالامر متروك للتاريخ كى يبحث ويدقق ، ويصل اليوم او غدا الى ماهو صحيح .. »

والموضوع الذى يحتاج منا الى هذا التصحيح او التوضيح هو موضوع قرار مصر بالمشاركة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، والذى قال عنه خالد محيى الدين :

« حكومات الاقلية الخاضعة للملك والخاضعة للانجليز ضعيفة .. لاتقاوم ولاترفض طلبا لا للملك ولا للانجليز ، ومن ثم خضعت ، وارسلت جيشنا ليهزم هزيمة دامية جارحة لكرامة كل مصرى وكل عربى . حكومات كهذه لايمكنها ان تقدم شيئا للوطن او للشعب ، ولايمكنها ان تكون قادرة على تحقيق مصر التى نحلم بها .. »

والصديق خالد محيى الدين يقصد ، بطبيعة الحال - حكومة المرحوم النقراشى باشا التى كانت فى الحكم وقت اصدار القرار بمشاركة الجيش المصرى فى (تأديب العصابات الصهيونية فى فلسطين) وهو التعبير الحرفى الذى استخدم فى بيان الحكومة المصرية للاعلان عن دخول قواتها ارض فلسطين بعد منتصف ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

فى هذا الصدد ، نرجو ان نوضح عدة حقائق من اهمها :

١ - ان النقراشى - يرحمه الله - لم يكن فى يوم من الايام قريبا من الاستعمار البريطانى ، او خاضعا لنفوذ القصر او الانجليز ، فهو نفسه الذى لعب اكبر الادوار وامجدها فى تفجير ثورة ١٩١٩ اثناء نفى سعد زغلول خارج مصر ، وهى الثورة التى ادت الى الافراج عن سعد زغلول ، ثم ادت بعد ذلك الى صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وحققت به مصر (بعض) استقلالها ،

والنقراشى هو نفسه الذى اعترضت بريطانيا على تعيينه فى اى منصب رسمى فى مصر باعتباره مسئولا عن قتل جنودها ، وظلت تعترض على ذلك الى ان عين وزيرا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، بشهادة الوثائق البريطانية التى افرج عنها مؤخرا .

والنقراشى هو نفسه الذى قرر - وهو رئيس للوزراء - عرض قضية مصر على مجلس الامن الدولى فى اول سابقة تقدم عليها دولة صغيرة بعد انشاء هيئة الامم المتحدة ، وكان هو نفسه الذى وصف الاستعماريين الانجليز - من فوق منصة مجلس الامن - بأنهم قراصنة وطالبهم بالجلاء عن مصر .. فهل يمكن بعد ذلك ان نصف النقراشى (بالذات) بأنه ممن يخضعون للانجليز .. ؟ !

٢ - ثانيا : ان حكومة النقراشى لم تكن حكومة اقلية ، وانما كانت حكومة ائتلافية اشترك فيها السعديون والاحرار الدستوريون والحزب الوطنى والكتلة الوفدية ، بعد ان قاطع حزب الوفد الانتخابات البرلمانية التى جرت بعد اقالته من الحكم فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤ .

٣ - ثالثا : ان قرار اشتراك القوات المسلحة للدول العربية فى (تأديب العصابات الصهيونية) هو قرار اتخذه مجلس الجامعة العربية فى اجتماعه الذى عقد بمدينة (صوفر) فى لبنان ، ولم يكن قرارا مصريا منفردا ، اتخذته حكومات الاقلية الخاضعة للانجليز .. ! !

ومن حقنا ان نتساءل اليوم - فى نهاية التسعينات - عما كان يمكن ان يسجله التاريخ على مصر ، لو انها - لاقدر الله - تقاعست عن المشاركة فى حرب فلسطين ، بعد ان اشتركت فيها دول مثل الاردن .. واليمن .. ؟ !

وماذا كان يمكن ان يقال عن النقراشى (اليوم) لو ان مصر وحدها هى التى قررت عدم الاشتراك فى تلك الحرب .. اغلب الظن ان يقال ان النقراشى خضع للانجليز بعدم المشاركة فى الحرب .. ! !

٤ - رابعا : نقرر بكل الصدق والامانة ان الجيش المصرى لم ينهزم فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، حتى وان كان لم ينتصر فى تلك الحرب ، فالجيش المصرى كان مواجها بحظر فرضته الامم المتحدة على توريد السلاح للدول المتحاربة بعد الهدنة الاولى ، وطبقته الدول الكبرى على مصر وحدها ، ولم تطبقه على اسرائيل ، والجيش المصرى كان - بعد الهدنة الثانية - داخل الاراضى الفلسطينية يحتل (قطاع غزة) ويديره ، وظل كذلك محافظا عليه حتى فقده فى اعقاب حرب ١٩٦٧ .. بل ان الاردن ظل محتفظا بالضفة الغربية - وهى ارض فلسطينية - منذ حرب ١٩٤٨ حتى فقدها - بما فيها القدس - بعد نكسة عام ١٩٦٧ ..

الجيش المصرى اذن لم يكسب حرب ١٩٤٨ اذا كنا نتحدث عن القضاء على دولة اسرائيل (! !) لكنه استطاع رغم ضعف الاستعداد ، وتآمر الدول الكبرى ، وحظر امداده بالسلاح ، ان ينقذ (جزءا) من الارض الفلسطينية ، وان يظل محتفظا بها حتى يونيو من عام ١٩٦٧ ..

فمصر لم تقصر فى واجبها نحو القضية الفلسطينية ، وان الخطأ هو ان لاتشارك فى الحرب ، والجيش لم ينهزم فى حرب فلسطين الاولى ، وان كان لم يحقق كل اهدافه ..

هذا مجرد (ايضاح) نرجو ان يتسع له صدر الصديق خالد محيى الدين ، حرصا على الحقيقة ، وانصافا لمن لايستطيعون الان ان يدافعوا عن انفسهم ، بعد ان انتقلوا الى رحاب الله .. ! !